الإعجاز العلمي في القرآن

الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، وهو باب من أبواب الإعجاز الغيبي.

أهمية الإعجاز العلمي:

لما كانت الرسل –عليهم السلام- قبل رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم) يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ولأزمنة محدودة؛ فقد أيدهم الله ببينات حسية، كالعصا لموسى عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن الله على يد عيسى عليه السلام، وتستمر هذه البينات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول، حتى إذا تطاول الزمن وتقادم وضعف أثر تلك الرسالة الصافي، واختفت قوة إقناعها الحسية؛ فعندئذ يبعث الله رسولا آخر، ويؤيده بمعجزة جديدة مناسبة لما برع فيه أهل زمانه.

لما ختم الله الرسالات بمحمد 'صلى الله عليه وسلم) أيده ببينات حسية من ذلك نبع الماء بين أصابعه، وجنين الجذع، وتسبيح الحصى...وزاده على ذلك ببينة كبرى تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة، ألا وهي القرآن الكريم، هذه المعجزة التي يتجدد عطاؤها مع كل فتح بشري في آفاق العلوم والمعارف ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي، من ذلك في عصرنا هذا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. قال (صلى الله عليه وسلم):"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أويته وحيا أوحاه الله إليّ، أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"رواه البخاري. ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وفي بلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيئ مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه.

بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:

التفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية.

الإعجاز العلمي: فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهكذا يظهر اشتمال

القرآن أو الحديث على الحقيقة الكونية التي يئول –يصير وينتهي- إليها معنى الآية أو الحديث ويشاهد مصداقيتها في الكون، فيستقر عندها التفسير ويعلم بها التأويل.

الحقيقة العلمية والتفسير العلمي:

إن التفسير العلمي أعم من الإعجاز العلمي؛ إذ أن كل إعجاز علمي هو من قبيل التفسير العلمي ولا العكس، وأهم الفروق بينهما هي:

1/ الإعجاز العلمي خاص بما يتعلق بالتوفيق بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية، والتفسير العلمي يتناول النظريات والإشارات الضمنية في تفسير النصوص الكونية.

2/ الإعجاز العلمي متفق عليه بين أهل التفسير، والتفسير العلمي مختلف فيه.

3/ التفسير العلمي –إذا لم تراع ضوابطه وشروطه- قد يكون سببا في وقوع الخطأ في فهم كتاب الله؛ لسعة مجاله؛ ولذا فإن كثيرا من الباحثين المعاصرين انحرفوا فيه عن جادة الصواب لمخالفتهم تلك الضوابط.

4/ الإعجاز العلمي أوضح من ذلك وأبعد، والخطأ فيه أقل؛ إذ إنه غالبا ما يقع بسبب عدم الربط بين الحقيقة الشرعية والكونية.

أسس وقواعد تفسير نصوص الإعجاز العلمي: تعتبر أسس وقواعد الواجب مراعاتها في تفسير القرآن الكريم هي المنهج الذي يتبع في تفسير آيات الإعجاز عموما، مع مراعاة الضوابط التي نجملها فيما يلي:

1/ معرفة ما يتعلق بالنص من سبب الورود.

2/ مراعاة العرف اللغوي في زمن التنزيل، وإسقاط المعاني التي تم تداولها بعده.

3/ مراعاة قواعد الإعراب والبلاغة وأساليب البيان المقررة، ليتم فهم أبعاد معاني النصوص.

4/ اعتماد المعاني المقررة للحروف التي تسمى حروف المعاني.

5/ يجب ألا يفارقنا اليقين بصدق أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهي وحي من الله .